التشكيل الثقافي الجمعي في إستدعاء النصّوص في شعر السيد مسلم الحلي وآليات التوظيف

أ.د. محمد شاكر ناصر الربيعي الباحث. أسد حسين هادي العزّام

كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

The Collective Cultural Formation in Muslim Al-Hilli's Poetry

Prof.Dr. Muhammad Shakir Nasir Al-Ruba'I

Researcher Asad Hussain Hadi Al-Azzam

College of Basic Education/ University of Babylon

Abstract

The collective cultural formation in Muslim Al-Hilli's poetry deals with the sacred texts to serve the religious beliefs and the Shea'a ideology. On the other hand Muslim Al-Hilli's poetry presents the traditions of the Arabic poetry.

الملخص

نستخلص من البحث أنّ التشكيل الثقافي الجمعي في شعر السيد مسلم الحلي رحمه الله قد تعامل مع النص المقدس في توظيفه لخدمة العقيدة كالامامة ومفرداتها وغيرها من مبادئ وادبيات الفكر الشيعي ويندرج تحت ظلها ادبيات الوحدة الاسلامية التي كان السيد الحلي احد اعمدتها، اما بالنسبة لتعالقه النصي مع الشعر العربي فهو المهم عنده، أنّ لم نقل هو الابرز، لانه ينبعث من مقتربات فنه الانساني، ذلك أنّ الشاعر مؤمن اشد الايمان بالرسالة الانسانية للشعر، لذا يرى الباحث أنّ الشاعر السيد مسلم الحلي باحث عن الحقيقة في عالمه الباطن أو في خارج هذا العالم.

مقدمة

وما دام عالم الانسان مُتغيّراً، دائم الحركة والتجدُّد، فأنَّ تجارب الشعراء ستكون مُتغيرّة ومتعدّدة، تتّسعُ لعديد من المواقف والرؤى التي لا تُحصى والمشاعر التي تتراوح بين الحالات من حب وغضب وعنف، ورجاء، وحُزن، ونكد، وهذهِ الحالات لدى الشاعر الناضج والمقتدر جديرةٌ بأن تصوغ اللغة الشعريّة التي تستطيع حملها، وايصالها الى القاريء وهي متدفقة مفعمة بحرارة تلك التجربة او الحالة.

تأسيساً لهذا، فإنّ هذا البحث سيُعنى باستدعاء النصوص التراثية ودلالاتها الوظيفية في شعر السيد مُسلم الحلي، وستكشف سمات عقل الشاعر الذي استعملها وهو عقل يسعى إلى استخدام ما يملكهُ من قوالب مخزّنة في الذاكرة، وجاهزة للاستدعاء حين الطلب، فيضعُ الشاعر اي قضية جديدة في ذلك القالب ويتعامل معها وفقاً لتلك التعابير الجاهزة.

وفيما يبدو للباحث – أنّهُ بإمكان البحث، أن ينبئنا بأفكار الشاعر، ونعرف مدار رؤيته، على إعتبار أنّهُ يفكرُ من خلال أيقونات جاهزة ومعروفة.

فشاعرنا الحلي لا يؤلّف جُملاً من خلال تناصهِ وتشكيله الثقافي الجمعي التي يستعملها وإنما يحقّق ضرباً من التنظيم بينها، لأنّهُ يخلق منها موضوعاً جديداً، مما يعني أنَّ كلامه لا يخرج عن كونه صورة ذهنية.

التمهيد

إنَّ ما نعنيه بـ ((التشكيل الثقافي الجمعي)) هو ((الظاهرة اللغويّة المعقدة التي ترتبط بالخلفية المعرفية أَو المعرفة المُسبقة والافتراضات والمخططات التي نستحضرها في النّص لكي نستنتج المعاني وهي ما يُسمَى بـ ((التّناص))[1].

((ومصطلح (التّناص) من المصطلحات المستحدثة التي تمَّ التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقدي، وخاصة بعد استفاضة الحديث عن البنائيّة والأسلوبيَة))[1].

(1) علم لغة النّص – النظرية والتطبيق – الدكتورة: عزّة شبل محمد: 77. الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة – الطبعة الاولى، 1428هـ - 2007م.

وعند الرجوع الى المعاجم العربّية نجد أنَّ التَّناصَ وردَ بمعنى ((رقُع الشيء))، وكلُّ ما أُظهِرَ، فقد نُصَّ، ويُقال: نصصتُ الشيء حركته، وقولهمُ: نصصتُ ناقتي: النّصُ السِّيرُ الشديد، حتى يستخرج أقصى ما عندها ...وتناصَّ القومُ: ازدحموا.

ونصصتُ الحديث إلى فلان: أي رفعته إليهِ، ونصُّ كل شيءٍ: أي، مُنتهاه...[2]

وظاهرة التنّاص أو مصطلح التناص، حسب تناول الناقد الأدبي لهُ، ليس وليد ساعتهِ، بل لهُ تأريخٌ طويل في سجل الحضارة العربيَة، فهو ((ليس جديداً على ثقافتنا النقديّة لأَنّ لهُ جذوراً في كتب تراثنا النقدي، إذْ وردَ تحت مُسميّات أخرى كالاقتباس، والتضمين، والأخذ، وما يدخلُ في إطار التداخل والتشابك بين النصّين [النص الجديد + النص القديم]، دون أَنْ نتخلى عن القديم تماماً))[3].

إذاً التناص، هو مصطلح حديث لظاهرة (السرقات الأدبّية) المعروفة عند النقاد العرب[4].

ويرجع تأريخ الاهتمام بهذهِ الظّاهرة الى أبحاث الباحثة الفرنسية (جوليا كرستيفا)، والتي استفادت من كتاب (ميخائيل بأختين) – المبدأ الحواري، وأعلنت فيما بعد تسميتها لمصطلح (التناص)، وتبنيها لهُ في كتابها الشهير (ثورة اللغة الشعرية)[5].

وقد حظي هذا المفهوم، التفاعل مع النصوص ((باهتمام كبير، فيما يُعرف بتداخل النصوص، أو بتعالق النصوص، أو بتوارد النصوص، أو بتفاعل النصوص، أو الحوار بين النصوص أو التناص، أو النصّية، أو التراث، أو النصّ الغائب))[6].

وهذهِ المادة (نصصَ) ((سيتولّدُ عنها عّدة دوال لها رموزها الواقعّية التي نلحظ بينها قدراً من التقارب، حتى يُمكن القول بانتمائها الى حقل دلالي واحد، وربما كان أكثرها إتصالاً بالمنطقة النقديّة هو دلالتها على عملية (التوثيق)))[7].

وعلى أية حال فإنّ بقدر ما نصبوا إليه هو تكوين فكرة تمهيدية لهُ، وكمدخل لدراستنا الذي يحمل عنوان (التناص) ودراسة هذهِ الظاهرة في شعر السيد مُسلم الحلي، لذا يجب علينا أنْ نعرّف هذهِ الظاهرة، وإنْ تعدّدت تعاريفها العلميّة، ولكنّها تجري في مصب واحد وهي أنَّ التناص: ((لوحة فُسيفسائية من الاقتباسات))[8].

وقد ذكر الدكتور محمد مفتاح تعريفاً للتناص بأَنّهُ: ظاهرة لغوّية معقّدة، تستعصي على الضبط والتقنين، إذْ يُعتمدُ في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته، وقدرته على الترجيح))[9].

أما كتاب قاموس السرديّات فقرّرَ بأنَّ التّناص هو (العلاقة او العلاقات الحاصلة بين أحد النصوص، ونصوص أخرى يستشهد بها، يُعيدُ كتابتها، يمتصَّها، يُوسِّعها، أو بصفة عامّة، يقومُ بتحويلها))[10].

أما الشعر وشأنه شأن أي معرفة علميّة أخرى، فهو يطلبُ التواصل، ويتطلب منهُ الحضور مع السابقين في نصوصهم الغائبة إذْ ((يَندُر أنْ نجد شعراً وشاعراً .. لم يتصل بنحو من الأنحاء بشاعرٍ من شعراء التراث العربي، أو يتقاطع معهُ أو مع أحد نصوصهِ، أو بعض أبياتهِ تقاطعاً مضمونياً، أو لغويّاً، أو ايقاعياً، أو كل ذلك في بعض حالات الاحتذاء أو المعارضات الشعريَة))[11].

---

(1) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الدكتور محمد عبد المطلب: 136. مكتبة – لبنان ناشرون – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الطبعة الاولى، 1995م.

(2) يُنظر: الزمخشري، اساس البلاغة: 66، (مادة نصص)، القاموس المحيط، ج2/ 319، للفيروز آبادي. لسان العرب لابن منظور، مادة نصصَ: وابن سيده المخصص، المعجم الوسيط، ج2/ 934.

(3) التناص اللغوي – نشأته، أصوله، أنواعه، د. نعمان عبد السميع متولي، 20، الناشر: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع – مصر – دسوق – ميدان المحطة، الطبعة الاولى: 2014م.

(4) يُنظر: العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، ج2/ 257، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، 1934.

(5) يُنظر: آفاق التناصية – المفهوم والمنظور، ترجمة وتقديم: د. محمد خير البقاعي: 98، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998 – مصر.

(6) علم لغة النص، د. عزة شبل: 75.

(7) قضايا الحداثة، د. محمد عبد المطلب: 136.

(8) علم لغة النص – النظريّة والتطبيق – د. عزة شبل: 75.

(9) تحليل الخطاب الشعري – استراتيجيات التناص – الدكتور محمد مفتاح: 121، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1992.

(10) قاموس السرديات، جيرالد برنس، ت: السيد إمام، ط1، 2003: 97 – 98، ميريت للنشر والمعلومات – القاهرة.

(11) ظاهرة التعالق النصّي في الشعر السعودي الحديث، د. علوي الهاشمي، كتاب الرياض، مُؤسسة اليمامة الصحفية، 1418هـ: 257 – 258.

وتأسيساً على ذلك، فإنَّ التنّاص لا يُعتبر خللاً في عملية الإبداع بل يُعتبر ((ضرورة لربط العمل الأدبي بالحياة عبر الاستعانة بالنصوص الأخرى الحيّة، سواء انتمت لعمل أدبي، أو فولكلوري، أو أسطوري، أو ديني، أو حتى – (في حدّهِ الأدنى) التعبيرات الاصطلاحية في اللغة، فالتناص يجعل النص الجديد الذي يستعينُ بهِ نصّاً جديداً ومألوفاً من ناحية، وثريّاً باستجلاب عوالم أخرى الى عالمهِ))[1].

وهذا ما ذهبَ إليهِ وأقرّه عالم الاجتماع الدكتور الوردي بقولهِ: ((إنَّ المبدعَ لا يأتي بشيء جديد، إنما هو يربط ويؤلف بين أشياء قديمة، ومعنى هذا أنَّ كل فكرة جديدة تقومُ في أساسها على أفكار سابقة لها))[2].

وكما أنَّ التناصَ ضرورة وعلاقة جدلية متبادلة بين المبدعين أنفُسهم فالمعنى لا يتخلّق إلا من خلال التفاعل المشترك بينهم ... فإنّ عملية اشراك [المنتج (المبدع أو المتناص)] مع المتلقّي فإنّها تبدو من مستلزمات اكتمال النص وتكامله، بل أكاد أقول بأنّ – المتلقّي – هو من بيدهِ إشعال النص وتفجيرهِ أو موتهِ، وهذا ما جعل علماء البلاغة واللغة والنحو [وهم من كبار المتلقين] لأنهم يفهمون ما يقرأون، لا أنهم يقرأون ما يفهمون!، لذلك انفتحت شهيتهم النقديّة إلى تصنيف كتب تتعلق بأشكال التناص من خلال الاهتمام بالمعارضات الشعريّة، والسرقات الأدبية، والاقتباس، والتضمين، والاستشهاد، والإبداع، والإحالات، والموازنة، والاكتفاء، والاحتباك، والتمثيل، وائتلاف المعنى على المعنى، والتلميح، والتوليد، والنوادر، والاستخدام، والمواربة، والتورية، والإشارة، والاستتباع، والإدماج، والتتّبع ...[3]

– ولا يخفى – أنَّ هذهِ المصطلحات النقدية العربيّة الأَصيلة، تنطوي على ذكاء المتلقي [العالم اللغوي والبلاغي] وسعة اطلاعه، وثقافته المتعددة المشارب، وهذا ما جعل (المبدع – المرسِل –) يتخوف أشدّ التخوف منهم، ويحسبُ لهم ألف حساب.

كما وإنّ هذه المصطلحات تنطوي أيضاً على أفكار تناصّية هامة تؤيّد تقدّم الفكر العربي النقدي، واسبقيّته على الفكر الغربي في مجال النقد وتفرّعاتهِ، ومن بين تلك التفرعات ما ذكرناه سابقاً بخصوص ما نحن بصددهِ حول ظاهرة (التعالق النصي) في المفهوم الغربي الحديث، أو (السرقات الأدبّية أو الاقتباس، أو الأخذ أو التضمين أو الاستشهاد أو تداخل النصوص الخ) في المفهوم الإسلامي القديم.

– ويرى الباحثُ – أنَّ الأديب، وعلى الخصوص الشاعر منهم يَضطرُّ اضطراراً أكثر من الناثر (القاص، والروائي والكاتب الخ)، الى الجنوح بشعرهِ نحو آفاق التناصيّة، لأنَّ الشعّر ((من أكثر الفنون جنوحاً نحو التأثر، والاقتباس، والاستيحاء، والمحاكاة))[4].

هذا الجنوح اللاإرادي ولّدَ، فيما بعد ظاهرة نقديَة حداثويّة وهي من منتجات ظاهرة (التنّاص) إلى ظهور ما يُسمّى في الفكر النقدي الحديث بـ ((موت المؤلّف)) والتي هي من تناصات ((رولان بارت)) النقديّة، والتي انتهتْ إلى القول حسب نظريَته على أنَّ:

((ظاهرة التناص أبرز دليل على انتهاء دور المؤلف هذا المصطلح الذي عمّق من مسألة قتل المؤلف وإقصائهِ! انطلاقاً من تعريف النص بأنّهُ مجموعة من النصوص المتداخلة فيما بينها، لا وجود لبداية أولى في الكتابة الإبداعية، ولا وجود لكتابة تبدأُ من نقطة الصفر، فالنصوص سابقة للنصّ ومتداخلة فيهِ، مِمّا يُزيح سلطة المؤلّف، ويُلغي ادعاءه بانتماء النص إليهِ أو تبنيّه))[5].

(1) علم لغة النص، د. عزة شبل: 77.
(2) أسطورة الأدب الرفيع الدكتور علي الوردي، منشورات سعيد بن جبر، قم المقدسة، الطبعة الاولى، سنة 2000 م، الطبعة الثانية، 2005 م- 1426 ه: 252.
(3) التناص وإشاريات العمل الأدبي، صبري حافظ، مجلة ألف القاهرّية، العدد الرابع، ربيع 1984: 27 – 30.
(4) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط1، 1986: 29.
(5) التناص اللغوي، د. نعمان عبد السميع متولي: 14.

وعلى الرُّغم من قساوة هذا الطرح الفكري النقدي، فإنَّ الأديب شاعراً كان أم ناثراً لا يلتفت إلى هذا وذاك، بل هو كالنحلة المعطاء التي تمتص من هذهِ الوردة البيضاء ومن تلك الحمراء، وأخرى الصفراء أو السوداء، وفي النهاية تُعطينا العسلَ الذي فيه شفاءٌ لما في الصدور، فالأديب إنساني النزعة يسعى الى بث الحركة في الحياة، فهو يسير مع مسير الحياة وكلاهما يسيران مع الإنسانية نحو ((غاياتها وأهدافها مستفيدة من كل جهد تقدم، وبكل تجربة مرّ بها السابقون، وحقيقة التطور أنّهُ خطوات نحو الهدف الذي ترمي الإنسانية إليهِ، لابد أنْ نبتدئ كل خطوة من نهاية الخطوة التي سبقتها، كما ينتفعُ الإنسان بالتجارب المُجدية التي حققت لسابقيه نجاحاً في مضمار العلوم والفنون والاخلاق، وفي مظاهر الحياة، وصنوف الحضارة))[1].

ومن هُنا، وهُناك، فإنَّ التشكيل الثقافي الجمعي في استدعاء النصوص التراثية ينقسم في شعر الشاعر السيد ((مُسلم الحلي)) على ثلاثة أقسام، – حسب تأثّرهُ بالتراث، وتفاعله معهُ، والاستئناس باستراتيجية التناص التي تقوم على التفاعل، والامتصاص، والهدم، والبناء ...[2]

أولاً: تأثُّره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، أوجب استدعائهِ لنصها المقدّس.

ثانياً: تأثّرهُ بالشعر العربي القديم عبر مراحله الزمنية: [الجاهلي/ الإسلامي/ العباسي بدوريهِ الأول والثاني] الأدب الاندلسي [الموشّحات والمُسمّطات والقصائد] وعصور الفترة المتأخرة وفترة العصر العثماني/ وشعراء عصرهِ [فترة الحكم الملكي والجمهُوري].

ثالثاً: تأثّره بالنُّصوص التراثيّة الأخرى، واستدعاءه الوظيفي لها، مثل: (الأمثال العربيّة/ التعابير الجاهزة/ الشخصيّات العربيّة، الإشارات التأريخيّة، والنحوية، والديّنية، والبلاغية، والفلسفية).

المبحثُ الأول

استدعاء النصّ المقدّس وآليات توظيفهِ

يُقصد باستدعاء النص المُقدّس هو ((تداخل نصوص دينيّة مختارة من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف أو الخطب أو الاخبار الدينيّة مع النصّ الأصلي للقصيدة، بحيث تنسجمُ هذهِ النصوص مع السِّياق الشعري، وتُؤدي غرضاً فكرّياً أو فنيّاً أو كليهما معاً))[3].

وبناءاً على هذا، فقد اقتضى البحث في هذا الصدد إلى تفرُّعهِ وفق السياق الشعري على:

أ- تناصّه مع القُرآن الكريم

وهو الآخر يأخذ أبعاداً إنتاجية ثلاثة، وفقاً للرؤى وفي سياقات مختلفة مكوّنة نماذج متعدّدة من التّناص الديّني وهما:

البُعد الأول: البعد الاقتباسي الحرفي: وهو اقتباس الآية الشريفة بنصّها المقدّس، وتعالُقها في شعر الشاعر السيد مُسلم الحلي واحدٌ من هؤلاء الشعراء، فمنها على نحو العّينات للتوضيح والاستدلال، قولهُ في الحكمة: بحر البسيط

تَأنَّ في الأمر لا تَعجلْ تجدْ حَسناً حُسْنُ التأنّي وقُبحُ المقلق العَجِلِ

كَمْ منهما – لو شَعرنا – قد بدتْ غِيرٌ لكنّما (خُلقِ الإنسان من عَجل)[4]

(1) السرقات الأدبيّة، د. بدوي طبانة، دراسة الثقافة – بيروت – لبنان، 1986 – طبعة مزيدة ومنقحة: 226.
(2) يُنظر: لغة علم النّص، د. عزّة شبل: 81.
(3) التناص – دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض (جرير والفرزدق والأخطل)، الدكتور نبيل علي حسنين: 215، دار كنوز المعرفة العلميّة للنشر والتوزيع، الاردن – عمان، ط1، 2009.
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 196.

لقد اقتبس السيد الآية رقم (37) بنصها الشريف من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى: ((خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ)).

وقولهُ من موشّحة في مدح الإمام أَمير المؤمنين – عليه السلام – وهي أطول موشحات السيد الحلي، وقد أجراها على بحر السريع، وهي مُقطّعة الى خمسة عشرة رباعية، وكلها تنتهي بحرف الياء وهو القفل. جاء فيها:

لأنْتَ في نصِّ رسول الهدى غير الورى بعد الرسول الأمين
قَرْنتَ في كُلِّ عُلاً شامخٍ لذاكَ أصبحتَ عديم القرينْ
خُطَّ على سيفكِ يوم الوغى (نصرٌ من اللهِ وفتحٌ مُبين)
فيا حُسامَ اللهِ مِنك الحسامُ للشرك في ضربتكَ القاضيةْ[1]

العجزُ في الموشحة – كما ترى – مقتبسٌ نصّي من قولهِ جل وعلا ((وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)).

وهي من سورة الصف المباركة الآية رقم 13، غير أنَهُ أبدل (قريب) بـ (مبين) لسياق القافية لا غير.

ومنها قولُهُ في قصيدة (أُويقات السرور).

يهوي فؤادي وصله وإنّما يرقبُ في وصالهِ لمن رقَبْ
تبتْ يدُ الواشي علينا بالهوى فيهِ كما تبت يدا أبي لهب[2]

والاقتباس في العجز من البيت الثاني وهو تناص لزومي حرفي مع قوله تعالى: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)) وهي الآية الأولى من سورة المسد.

البُعدُ الاقتباسي العقْدي:

وهو (عقد الآيات القرآنية)، أي بمعنى: ((أنْ ينظمَ نثراً على طريق الاقتباس))[3] ومن شرائطهِ: أنْ: ((يُؤخذ المنثور بجُملة لفظهِ أو بمعظمهِ، فيزيد فيهِ، أو يُنقص منهُ، أو يُحرّف بعض كلماتهِ، ليدخُل بعض كلماتهِ بهِ في وزن من أوزان الشعّر))[4].

وقد أحصى الباحث – هذا النوع في شعر السيد مُسلم، فوجدهُ أكثر الأنواع استعمالاً عندهُ، بل لا تكاد تخلو قصيدة من قصائدهِ إلاّ وفيهِ هذا النوع من الاقتباس القرآني، وقد ألحّ فيه إلحاحاً شديداً يُنبئ عن مقدرة فنية، وبُعد وظيفي، وتجربة شعرّية زاخرة بالثقافات المتعدّدة، مما أضاف إلى شعرهِ مُسحة أُسلوبّية أسهمت في خلْق رؤية فكريّة تؤدي غرضها لتتشابك مع الغرض الفني مُولّدة إنتاجيّة جديدة مُطعّمة بالنص الديني المقدّس خصوصاً إذا عرفنا أن الشاعرَ السيد مسلم الحلي هو فقيه بالدرجة الأولى قضى عمرهُ مرجعاً من مراجع الفُتيا، وأُستاذاً حوزوياً من أساتذة الفقه والأُصول الكبار.

(1) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 442.
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 103.
(3) الإيضاح في علوم البلاغة، قاضي القضاة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف (بالخطيب القزويني) (ت 739هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربيّة بالجامع الأزهر، أعادت طبعه بالأوفسيت، مكتبة المثنى ببغداد، جزء 2، ص423.
ويُنظر ايضاً: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج3: 84.
(4) تحرير التحبير (في صناعة الشّعر والنثر وبيان إعجاز القرآن)، لابن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ)، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – لجنة إحياء التراث الاسلامي، الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة، 1383هـ - 1964م، ص441.

هذا التداخل مع التراث الديني على العموم طريقة ((تُوظفَّ لبلورة الحاضر من خلال تجربة الماضي، وتستحضر لتعزيز موقف الكاتب من الرؤى والمفاهيم التي يطرحُها أو يثيرُها في نصّهِ))[1].

على العموم، فلقد احتوى ديوان السيد مسلم الحلي المُحقّق، نصوصاً دينيّة كان رافدُها القرآن الكريم ((اندمجت وتداخلت معها في سياقات مختلفة مكوّنة لها متعدّدة من التناص الديني أثْرتَ الفكرة المطروحة، وعمقَت رؤية الأحداث، وأسهَمتْ في تشكيل البناء الفنّي للشعر))[2].

وهذا ما نجدهُ من خلال استعراض لبعض العينات للنص الديني وذلك نحو قوله: بحر الرجز

مَنْ قاس ذا علمٍ بذي جهلٍ عميً كانَ لَمنْ قد قاس فحماً بذهَبْ

لا يستوون عالم وجاهل جاء بنصِّ الله في خيرِ الكتبْ[3]

والتناص الديني حدث في صدر البيت الثاني من سورة الزمُر الآية 9 أي في قولهِ تعالى: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)).

ولهُ من نفس القصيدة، وقد وضعها في غرض الحكمة والوعظ ..

والله لا يخشاهُ من عبادهِ إلاّ أولو العِلمِ ومَنْ لهُ إنتسبْ[4]

وهو تداخل نصي مع قوله تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماءُ "[5]

وقولُه من قصيدة (نفسُ النبيّ) في مديح الإمام علي (ع): بحر الكامل:

وبدا هو النبأُ العظيمُ بحقّهِ اختلفوا بهِ فإذا هُمُ اشتاتُ

سَلْ آدماً لما تلقّى آدمٌ كلماتُ نُوح ما هي الكلماتُ؟![6]

في هذين البيتين تفاعل النص الشعري مع النص الديني المقدس (القرآن) من خلال قوله تعالى: " عمَّ يتسائلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون "[7]، والتفاعل الاخر من خلال الاشارة إلى قوله عز وجل " فتلقى ادم من ربه كلماتٍ فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم "[8].

هذا البعد من الاقتباس العَقْدي لهُ مدلوله الخاص في توجيه الأنظار إلى خصائص أهل البيت (ع) وإلى عصمتهم وإلى حادثة الغدير الشهيرة وليس لديه من دليل وحجة دامغة إلاّ كتاب الله المعجزة الخالدة والتي لم يستطع الإنس والجن على أنْ يأتوا بمثلهِ، وهو محفوظٌ من التحريف والزيادة والنُّقصان، لذا إتكأ السيد على هذا العكاز الفكري القوي، وأتخذهُ وسيلة كبرى،

(1) التّناص – دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض – الدكتور نبيل علي حسنين: 215.
(2) م. ن: 215.
(3) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 110.
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 110.
(5) سورة فاطر ، آية : 28 .
(6) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 113.
(7) سورة النبأ، آية : 37.
(8) سورة البقرة، آية : 37.

ليوظّفها في خدمة المذهب والإسلام، والبيتين المشار إليهما كما هو واضح يُشيران الى قولهِ تعالى: ((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ)) سورة النبأ/ آية 1-3.

أما البيت الثاني فيشير الى قوله تعالى:

((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)). ومن أراد التفسير فليراجع كتب التفسير.

ولهُ من نفس القصيدة في تبيان فضائل أمير المؤمنين (ع):

نفْسُ النبيّ، لقُدس شأنِكَ طأطأت تلك الرؤوسُ، وعُفّرتْ جبهاتُ

يا من بهِ قاسوا سواهُ جهالةً خَبطتْ سخيفَ عقولهم آفاتُ

فالإدِّعاءُ بلا دليلٍ باطلٌ إنْ كان برهانٌ لديكم هاتوا[1]

تأخذُ هذهِ الأبيات بُعداً دلالياً معرفياً عميقاً في تناصها مع القرآن الكريم فهي ترمي الى أهداف ذات سمات عقائديّة فكريّة محل تناظر مع الطرف الآخر، وحِجاج كلامي مُؤطّر بصيغة – فلسفية – والسيد مُسلم الحلي هو فارسُ ميدانها وابن بجدتها، فهو معروف في الأوساط الحوزويّة أنّهُ علاّمة المعقول، والمعقول من العلوم ما صُنّفت كتبه في (علم الكلام، العقائد، الفلسفة، الأديان، المحاورات والمجادلات وما شابه ذلك). ولهُ فيها مؤلفات عِدّة[2].

يُشير السيد الى قوله تعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) وهي الآية (61)، من سورة آل عمران.

ويعقْد السيد أبياتهِ مع قولهِ تعالى في نصّهِ المبارك: ((وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) وهذهِ الآية المرقمة (111)، من سورة البقرة.

وقوله تعالى: ((أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ)) وهي الآية (24)، من سورة الأنبياء، وقوله تعالى أيضاً ((أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) وهي الآية (64) من سورة النمل المباركة.

وكقولهِ في مراسلة إخوانية جرت بينهُ، وبين الأستاذ الشاعر السيد ((محمود الحبوبي)) بحر الطويل:

لكُم من بنات الفكر أهديتُها بكرا من الحلة الفيحاءِ إلى حُلّةِ الزُّورا

بدا وجهُها وجْهَ الصباح صباحةً ولكن سرتْ ليلاً فسبحان من أسرى[3]

(1) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 114.

(2) يُنظر: مؤلفات السيد ((مسلم الحلي)): 1- القرآن والعقيدة (جزءان)، 2- الميزان الصحيح (مجلد واحد). 3- الأصول الإعتقادية في الإسلام (جزء واحد).

(3) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 150.

فقد عقد مع الآية الكريمة ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))[1].

ويقصد ببنات الفكر (الرسالة) أو الخطاب الذي خطه السيد ووجّههُ إلى السيد ((محمود الحبُّوبي))، وهي كناية عنها، وقد كنّى أيضاً عن (سبحان الذي أسرى) البريد الذي يُوصل الرسائل البريدية الى اصحابها عن طريق (السيارات، القطارات، الطائرات، ووسائل النقل الاخرى).

ولهُ مثل ذلك في الكتابات القرآنية، قوله:

تبّتْ يدُ الفاجرِ الواشي عليَّ كما بالذكر، تبّتْ يدُ الجّاني أبي لهبِ[2]

أي حتى تموت وتهلك، أي ألزمهُ الله هلاكاً وخسراناً وهو دُعاء على الواشي الذي يثير الشغب والفتن بين المُحبّين ... والبيت الشعري الذي تناصَّ مع الآية هو قوله تعالى: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ))[3].

وقوله: بحر الطويل:

وأمرٌ بهِ عجّلْتَ بالحكم ضِلّةً لقد جئْتَ فيها قد عجلت به إمرا[4]

وهي كناية عن العجلة في إستصدار الأحكام ضد الآخرين جهالةً والآية الشريفة عقد السيد تناصّها من خلال قوله تعالى: ((فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا))[5].

والإمرُ: هو العجب من الاتيان بشيء ليس فيه مصلحة ولا منفعة.

وقولُه: بحر الطويل:

ولا عجبٌ بغدادُ دارُ سلامةٍ وسِلْمٌ، وإسلامٌ بهِ عظُمتْ قدرا
فكم من مزايا خّلد الدّهرُ ذكرها فسلْ عنهم التأريخَ، واستنطق الدّهرا
قَضَيْتُ بها – بالأُنسِ – سبعاً لياليا فياليتني قد كنتُ أتمَمتُها عشرا[6]

للسيد الحلي، تعليق على هذا البيت كما وردت عن المخطوطة وبالخصوص على كلمة (عشرا) الواردة فيهِ، وهو قوله: ((لو النكتة البديعيّة لقلنا: شهراً)) إنتهى[7] وفي قول السيد ((أتممتُها عشرا)) إشارة الى قولهِ تعالى ((وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً))[1]. وهي كنايةٌ عن الشوق، والتلهف للقاء المحبوب.

(1) سورة الإسراء/ آية (1).
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 105.
(3) سورة المسد / آية (1).
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 110.
(5) سورة الكهف / آية (71).
(6) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 152.
(7) الديوان الشعري.

ويقولُ في معاجز النبي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)): بحر الكامل

لهُ معاجزٌ عظامٌ ظهرتْ كلُّ لبيبٍ في مزاياها أنبهرْ

عُروجُهُ إلى السّماءِ معجزٌ جلّى وجلَّ ولهُ انشقَّ القمرْ[2]

ظاهرة إنشقاق القمر، هي إحدى معجزات النبي الرسول الخاتم (ص)، ومما يعضد ذلك قوله تعالى: ((إقتربت الساعة وانشق القمر))[3].

وقولُه: من قصيدة لهُ بعنوان (حُرّيةُ الفكر) وفيها من آراءهِ وأفكارهِ الشيء الكثير، من سياسة، واجتماع، واقتصاد، وعلوم تربوية ... وغيرها والملفت للنظر، أنه حتّى في الشعر يضعُ حقوقاً مشروعة للشاعر! على الجميع أنّ يحترمها بل أن يُنصّ عليها في الدستور وجاء فيها: بحر المتقارب

وإنْ يُسَمْ الحرُّ سومَ العبيد فتلكَ على الحُرِّ إحدى الكُبرْ[4]

وهي كنايةٌ عن الدواهي، والأُمور العِظام، فالإنسانُ الحُر لا يقتلهُ إلاّ التقييد والحدّ من حُرّيته الفكريّة ... وقد تناص سماحة السيد مسلم الحلي مع قولهِ تعالى: ((إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ))[5].

وقولُه راثياً العلاّمة الشيخ محمد حسين المظفّر: بحر البسيط

فرِجْلُ أيوبَ عين البُرءِ قد ركضتْ وذا (حُسينٌ) لعين الخُلدِ قد ركضا[6]

والركضُ هو الدفع بالرجل نحو الإسراع، تلهّفاً وشوقاً واستبشاراً وفي هذا الموضع عقد الآية ((ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ))[7].

فأيّوبُ أسرع نحو الشفاء العاجل والبرْء من مرضهِ بعد طول إنتظار، ومرارة الصبر، أما المرثي (المظفّر) فهو قد ركض برجله نحو الموت مُسرعاً استبشاراً بالمنية وإلتحاقاً بالصالحين والشهداء وحُسن اولئك رفيقا.

وقولُه من أُرجوزة في فضائل (المعصومين الأربعة عشر) بدءاً من النبي الخاتم حتى الحُجّة المنتظر (صلوات الله عليهم اجمعين): بحر الرجز

قال تعالى: (إنّما وليُّكم) خيرُ الورى وليٌّ كُلِّ مُسْلِمِ[8]

(1) سورة الإعراف / آية (142).
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 160- 161.
(3) سورة القمر / آية (1).
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 162.
(5) سورة المُدثر / آية 35.
(6) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 173.
(7) سورة ص / آية 42.
(8) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 207.

في إشارةٍ من السيد الى قولهِ تعالى: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ))[1].

قال ابنُ عبّاس في تفسيره: ((إنّها نزلت في عليٍّ خاصة))[2] عن جندب بن جنادة البدري الشهير (بأبي ذر الغفاري) قال: سِمعتُ رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بهاتين – وأشار الى أُذنيهِ – وإلاّ صُمَّتا، ورأيتهُ بهاتين – وأشار الى عينه – وإلاّ عميتا، يقول (ص): ((علي قائد البررة، وقاتلُ الكفرة منصورٌ من نصره، مخذول من خذله)) أمّا أني صليتُ مع رسُول الله يوماً من الأيام صلاة الظُّهر، فدخَل سائلٌ في المسجد فلم يُعطه أحد، فرفَع السائِلُ يدهُ إلى السماء، وقال: ((اللُّمَ اشهد إني سألتُ في مسجد رسول الله (ص)، فلم يُعطني أحدٌ شيئاً، وكان عليٌّ راكعاً فأومئ بيده بخنصره اليُمنى، وكان يتختَمُ بهِ، فأقبلَ السائل حتى نزعَ الخاتم من خنصرهِ، وذلك بعين النبيّ – صلى الله عليه وآله وسلم –، فلما فرغ النبي من صلاتهِ، رفع النبيُّ رأسه الى السماء، وقال: ((اللهمّ إنّ أخي موسى سألك، فقال: ((ربِّ أشرح لي صدري، ويسِرِّ لي أمري، وأجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي أشدُد بهِ أزري)) الآية المعروفة. فنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ((سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا))، اللهمّ وأنا محمد نبيُّك وصفيُّك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدُد بهِ أزري)) وقال أبو ذر: ((فوالله ما استتمَّ رسول الله كلامه؟ حتى نزل عليهِ جبرائيل من عند الله، فقال: ((يا محمد، إقرأ، قال: ما أقرأ، قال: ((إقرأ إنّما وليكم الله ورسوله ....))[3].

وقولُه: من قصيدة ((يا رسولَ الله)) وهي في رثاءِ – صلى الله عليه وآله وسلم : بحر البسيط

لكنّهُم غَيّروا ما في نفُوسهم فغيَّر اللهُ ما فيهم من النِّعمِ[4]

في إشارة قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ))[5].

وهي كنايةٌ عن تمادي الجور والإذلال للشعب العراقي من قبل نظام البعث البائد، وتملُّق بعض الطبقات الاجتماعية لهُ، وإنتماء أغلب المغفلين لحزبهِ الفاشي الدموي...[6]

ومنها قولُه في رُباعية غرضُها الغزل:

أيا ليلُ حدِّثهم بالعَنا ويا نجمُ نبِّئهمُ بالفراقْ

ويا نجمُ سَلهُم فهل دعوةٌ يحلُّ عنا القلبُ فيها الوثاقْ

فَمنّوا على هائمٍ باللِّقا فقد بلغَتْ روحُهُ في التراقْ

فنجميَ من هجرهم آفلٌ وكُلُّ لياليَّ ليلُ المحاقْ[7]

(1) سورة المائدة / آية (55).
(2) نقلاً عن تفسير الثعلبي، 80/4.
(3) يُنظر: ذخائر العقبى: 88، أنساب الاشراف للبلاذري: 136/2، أسد الغابة: 25/4، كشف الغمَة: 93/1، مناقب أهل البيت: 79، وغيرها الكثير.
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 217.
(5) سورة الرعد / آية (11).
(6) ينظر: الطائفية في العراق، د. سعيد السامرائي، ط 1، مؤسسة الفجر: 21.
(7) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 409.

فقد تناصَّ مع قوله تعالى: ((كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ))[1].

من خلال ما مرَّ بنا، نرى تنامي الظّاهرة الأسلوبيّة عند الشاعر، من خلال (التناص) تصاعديّاً في البعد العُقدي الاقتباسي، وهو أمر ملفتٌ للنظر، فقد كرّر بعض التراكيب اللغويّة واصبحت سمة له منها تكراره (للنعت والمنعوت، أو حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه، الجار والمجرور، المضاف والمضاف إليهِ).

وهذا ما نجدهُ من خلال الآيات المقتبسة المارّة ذكرها .. أما الأفعال التي إشتغلَ عليها تناصه، فقد إستعمل السيّد أفعال الماضي ومُشتقاتها، وأعني بالمشتقات حالات بنائها الخاصة، ليُدلّ على أنَّ الملفوظ الشعري هو مرتبطٌ بزمن الماضي أكثر ارتباطاً منه بالحاضر، لأنَّ التناص إنما هو عملية استقواء يتخذها الشاعر لتمرير فكرة، أو مبدأ، أو مُعتقد، أو حكمة ... الخ فيأتي بالنص المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفهِ فيدعمُه ويكون سنداً قويّاً، غير قابل للهدم أو النقض أو الإنكسار، فالنصُّ المقدّس ((يُنشط الذاكرة القرائية، ويُثير فيها صوراً، وأحداثاً مرتبطة بما في خارج النص الى داخله، وهو بذلك تتداعى فيها مجموعة من الأحداث، والوقائع)).[2]

كما أنَّ من سمات النص الديني، والتي وظفّها السيد مسلم في شعره، إنّهُ يقوم ((باستنفار الجانب الفكري ثيمة مُعيّنة في اي حقل معرفي، واستنفار خزائن الذاكرة التي يقتنيها النص، وتكمن غالباً في اللاوعي لدى المتلقي)).[3]

البُعْد الإشاري التّلميحي الإحالي:

وهو ((الإشارة غير المباشرة الى اثر ادبي آخر، أو نص لفن آخر، يحيل الى التأريخ، الى الشخصيّات المعاصرة وما أشبه))[4].

والبُعد الإشاري التلميحي هو ((أقل الأَشكال وضوحاً وحرفية وهو أن يقتضي الفهم العميق لمؤدّى ما، مع ملاحظة العلاقة بين مؤدى آخر، تحيلُ إليهِ بالضرورة هذهِ أو تلك من تبدلاته، وهو بغير ذلك لا يُمكن فهمه))[5].

ومقارنةً بالبعد الأول الدلالي في الاقتباس الحرفي، وبالبعد الثاني في الاقتباس العقْدي، يَرى الباحثُ – من خلال دراستهِ الأسلوبية الإحصائية إنّهُ يأتي ثالثاً على البعدين الآخرين حيث ما نسبتهُ (25%) بالقياس لهما حيث يشكل البُعد الأول (الاقتباس الحرفي) ما نسبتهُ (35%)، أما البعد الثاني (الاقتباس العقْدي الإشاري) فهو يبلغ ما مجموعهُ حوالي (45%) تقريباً من مجموع شعر السيد الحلي المُحقّق.

لكنَّ البُعد الأخير للاقتباس الإشاري الإيحائي يُعتبر ((أكثر أنواع التناص عمقاً، في أنّهُ يفكك المتناص* ويعمل على تخريب معمارهِ (التركيبي، والدلالي) ويراوغ المتلقي بتخفيه، وعدم ظهورهِ، من حيث أنَّ [الإيحاء] تقلُّ فيهِ الحرفيّة، والعلنيّة، لكن أدنى مجهود من طرف المتلقّي (القارىء)، يُمكن أنْ يوصل إلى إقامة علاقة بين النصّين، الحالي والنص الموحي إليهِ، بحيث لا يُمكن فهم الأول فهماً دقيقاً دون إدراك العلاقة بينهُ وبين الثاني))[6].

---

(1) سورة القيامة / آية (26 – 30).
(2) الالتزام الانساني في شعر عبد الله باشراحيل، نشر: قناديل للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2003 م: 138.
(3) جماليات التلقي في السرد القرآني، د. بادكار لطيف الشهرزودي، نشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، الطيعة الأولى، 2010 م: 40.
(4) النّص والتلقي، د. علي جعفر العلاق – دراسات نقدّية -: 132، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 1997م.
(5) طروس الأدب على الأدب، جيرار جنيت، ت: محمد خير البقاعي، الصفحات من [1 – 16]، ط1، دار [Seuil] فرنسا – باريس، 1982م.
* (المتناص): هو يُمثل ((مجموع النصوص التي يتماسَ معها عمل ما، قد لا يذكرها صراحة (إذا كان الأمر متعلق بالإيحاء)، أو تكون مندرجة فيه، في مثل الاستشهاد)). يُنظر: مدخل الى التناص، ناتالي بيغي غروس: 10/ت: عبد الحميد بورايو، (جامعة الجزائر).
(6) الرواية والتأريخ – دراسة في العلاقات النصّية – رواية العلامة [لأبن سالم حميش] نموذجاً. سليمة عذاوري، منشورات كلية الآداب/جامعة الجزائر – الطبعة الاولى – 2006م.

وعليه فإن هذا النوع من الاقتباس أقل وروداً في شعر السيد، لكنّهُ أكثر خطراً من النوعين الآخرين، لأنَّ المتلقّي والموجّه إليهِ الخطاب في الملفوظ الشعري لا يكتشفهُ بسهولة ((لأنّه لن يحيل إليهِ تركيب أو ملفوظ مُحدّد، وإنّما تكون الإحالة فيهِ دلالية، تختزل مضامين المتناص بشكل مُكثّف، وغير ظاهر، لكنها تتعالق معه))[1].

والسبب الذي يُعزى بهِ – الباحث –، في قِلّة إستعمال السيد الحلي لهُ، وذلك بسبب إعمالهِ في شحذ ذهن المتلقي (القارئ)، وكدّهِ الى الحدِّ الذي يُتعبه بل قد يُسبب لهُ النفور والملل والكلل... وهذا ما لا يرتضيه المرسِل (الشاعر)، لأنّ الغاية في إقامة الخطاب الشعري في ضمن هذا المضمار، هو لإقناعهِ فكرياً وجلب السرور والمُتعَة لهُ، وتهيئة المتقبِل – بكسر الباء – لما سيُلقى إليهِ من ملفوظ شعري، وهذا ما لا يوفرّهُ التناص الإيحائي التلميحي الذي أقلُّ ما يُقالَ عنه أنّهُ يقوم على ((الإحساس بعلاقة الشيء الذي نذكرهُ بآخر لا نذكره، حيث إنّ العلاقة نفسها الفكرة ... يفترض الإيحاء في الواقع أنْ يفهم القارئ من عبارة مُبطنة ما يُريد المؤلّف منهُ، فيفهمهُ بدون أنْ يُصرّح له بذلك لما يعتمد على لعبة عبارات ...))[2].

ب- التّناص مع الحديث النُّبوي الشريف

السيد ((مُسلم)) هو رجل عالم، وفقيه، ومن مستلزمات الفقاهة حفظه للقرآن الكريم، وللحديث النبوي الشريف، وأقوال وأحاديث الأئمة من أهل البيت – عليهم السلام – هذا الإثراء الثقافي صَبّهُ السيد على شعرهِ لمناسبات خاصة إرتآها مقتضى الحال – كما رأينا في اقتباسهِ للقرآن الكريم – وما سنعرضهُ الآن لاقتباسهِ من الفاظ الحديث النبوي الشريف الصحيح السند.

وعلى العموم، فإنّ السيد الحلي يمتاز على سائر اقرانه الشعراء من مُعاصريه بتكثيف النص الديني (القرآن والسنة) وهذا ما نجده في شعرهِ المُحقّق، ووفقاً لدراستنا الأُسلوبَية الإحصائية فقد بلغت الاحاديث النبويّة في شعره مضافاً لها أحاديث الائمة الاطهار (عليهم السلام) حوالي (77) حديثاً، أي بما نسبته (68 %) تقريباً، وإليك، نماذج منها كعّينات للدراسة الأسلوبّية، فمنها قوله في الحكمة من قصيدة بعنوان (أعلى الرتب) بحر الرّجز

وهذهِ سُنّةُ أحمدٍ أَتتْ بالنّص لا إفْكٌ بهِ ولا كذِبْ
فضلّت العالم من أُمته على نبيين بسالفِ الحِقَبْ[3]

هذا النص التلميحي الإشاري، يوجُّهنا إلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقِّ العلماء المسلمين: ((عُلماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل))[4].

وقولُه في الحكمة من قصيدة ((العَدل) بحر الرّجز

بالعدلِ والإحسان قد وافى لنا بأبلغ القولِ الكتابُ المُحكمُ
وهذهِ سُنّةُ أحمدٍ أتَتْ بالعدلِ توصي وهي فيه تحكُمُ
قد آمنتْ بالعدل في آدابها وأمرُهـا مؤكّـدٌ وملـزمُ
وقد درى ذلك كلُّ مُسلمٍ فهل ترى يُعرِضَ عنها مُسلمُ؟![5]

(1) التناص التراثي في الشّعر العربي المعاصر: أحمد العوضي أنموذجاً – عصام حفظ الله حسين واصل: 109/ ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الاردن – عمان، 1431هـ/2011م.
(2) مدخل الى التّناص، ناتالي بييقي غروس: 39.
(3) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 110.
(4) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111هـ) تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ومحمد باقر البهبودي، 3/ ص23 / مُؤسّسة الوفاء – بيروت – لبنان، ط2، 1403هـ / 1983م.
(5) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 205.

حيثُ تناصَّ مَع قول النبيِّ الأعظم (ص) حسب ما جاء في السنة النبويّة مما يَخصُّ مُفردة العدل ومشتقاتها قوله (ص): ((عدلُ ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنّة، قيامُ ليلها، وصيام نهارها))[1]، وقولهُ أيضاً – صلى الله عليه وآله وسلم: ((العدلُ جُنّةُ واقية، وجَنّة باقية))[2].

ولهُ في مدح الإمام الحسن السبط المُجتبى – عليهِ السلام – بمناسبة ولادتهِ الزكيّة. بحر الكامل

أَنتَ الإمامُ وإنْ قعدْتَ، وهكذا نصَّ النبيُّ ببيِّن التّبيانِ[3]

ويُطالعنا قول النبي (ص) في حقّهِ وحقِّ أخيه الإمام الحسين – عليهما السلام: (الحسنُ والحُسين إمامان، إنْ قاما، وإنْ قَعَدا، وأبوهُما خيرٌ منهما))[4].

وقولهُ مُرتجزاً: في مديح الإمام علي بن أبي طالب (ع) بحر الرجز

ذاكَ عليٌّ وأخو الرسول ليسَ لهُ في الخلق من مثيلِ[5]

وَخُصَّ في قول النبيّ الأفضل (من كنتُ مولاهُ، فمولاهُ علي).

وهو اقتباس حرفي ونصّي، لنصّ حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحقّ علي – عليهِ السلام –، في غدير خُم، وهو حديث ترويهِ العامة من المسلمين، فضلاً عن الشيعة في مروياتهم وكتبهم ونصَّ الحديث النبوي الذي تناصَ السيّد معهُ هو: ((مَنْ كنتُ مولاه فَهذا عليٌّ مولاه، اللَّهُم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه، وأدِر الحق مَعهُ حيث دار)).[6]

ولهُ: في مديح أمير المؤمنين (ع): بحر الرجز

وهو الإمامُ وأبو الأئمة مَنْ هُمْ مصابيحُ الهُدى للأمة

مَنْ قال فيهِ المصطفى بجدِّ أنتَ وصيي ووزيري بعدي[7]

لقد تناصَ السيد إشاريّاً تلميحّياً، البيت الأول وقد أحالنا إلى قول النبي (ص) ((بعدي إثنا عشرَ خليفة، بأيهِّم إقتديتم إهتديتم، وكلهم من قريش))[8].

وقولهُ – صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا وعلي والحسن والحسين والأئمة من ذرية ولدي الحسين مصابيح هُدى، خاتمهم قائمهم، بهِ سيملأ الله على يديه الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلئت ظُلماً وجوراً))[1].

(1) م.ن: جزء 72: 352.
(2) م.ن: ج74: 165.
(3) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 254.
(4) يُنظر: مُسند أحمد: 84/1، 118، 111، 4/152 : 372/ 5: 347، 366، 370، مناقب امير المؤمنين، للكوفي 2:55/ الكافي للكليني (ت 329هـ): تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري ، جزء 1/ ص294، 295، 296/ ج4: 149، 566، / ج8: 27.
(5) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 209.
(6) ينظر: روضة الخلاص في غير الناس في مناقب امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (ع)، فاضل العلياوي، دار الاعراف للدراسات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1420 ه- 1999 م: صفحات متعددة من الكتاب 425 وما بعدها من صفحة 435.
(7) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 210.
(8) يُنظر: ينابيع المودة: للقندوزي: 2: 315 – 316/ الثعلبي في تفسيرهِ: 4: 80 – 81/ بحار الأنوار: ج38: 199، فرائد السمطين: 1: 164.

أما البيت الثاني، فقد تناصَ السيد حرفياً مع الحديث النبوي الشريف ومقتبساً قول النبي الأعظم بنصّهِ مُوجّهاً خطابهُ لعلي – علي السلام –: ((يا علي أنتَ أخي، ووصييّ، وخليفتي من بعدي))[2].

ومنها في نفس القصيدة الرجزيّة:

أخو رسول الله وأبنُ عمّهِ وكاشِفٌ يوم الوغى لغمّهْ
ما نزلتْ في المؤمنين آية إلاّ وكان المنتقى والغايةِ
ذاكَ الذي نفْسُ رسُول اللهِ بالنّص قد جاءَ من الإلهِ[3]

هذهِ إلماحات – تناصّية – أحالنا السيد فيها على كتب الحديث، والتفاسير، وعلم الكلام والعقائد، وفيها يُلمح السّيدُ إلى قول النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ((ما أنزل الله تعالى آية في القرآن فيها يا أيُّها الذين آمنوا إلاّ وعليٌّ أميرُها وشريفُها))[4].

أما النّص الذي جاء من الإلهِ – حسب عجز البيت الأخير، فهو يلمحُ الى قول الله عزّ وجل ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ))[5].

لقد أرادَ السيد الحلي إيصال المعنى والمفهوم والفكرة العقدّية من خلال خطابهِ وملفوظه الشعري الى المتلقي على تعدُّد مشاربهم ومذاهبهم وأهواءهم، وطرحَ عقيدته شعراً مستنداً إلى أدلة دامغة من الحديث النبوي الشريف الصحيح السّند، وبذلك فقد حققّ هدفين أولهما أنَّهُ قد وظف شعرهُ في خدمة عقيدتهِ من خلال تناصّهِ مع الحديث النبوي الشريف، وما على المتلقي إلاّ البحث والتقصي والإستدلال لتكتمل عنده الصورة، أما الهدف الثاني أنّهُ قد أخضعَ اللّغة إلى إيصال المعنى إلى قلب المتلقي في أحسن صورة من اللفّظ.

ج– التّناص مع أقوال وأحاديث الأئمة الإثني عشر ((عليهم السلام)):

وغرضهُ دعم ما يؤمنُ بهِ عقائديّاً، وفكريّاً واجتماعيّاً وبثّهِ ونشرهِ من خلال تناصهِ الشعري في أوساط المجتمع، لتلقي الإستجابة، وبهذا فقد حققّ هدفهُ الذي يرمي إليهِ، فمن ذلك قولهُ في مديح الإمام علي (ع) ليؤكد على [فكرة العصمة] لدى الأئمة ومنه إمامه الأول، وعلى شدّة إيمانهِ بالله ورسوخ قدمهِ في الإسلام، وتنامي وتعدُّد مواهبه النفسانيّة، جاء فيها: بحر الوافر

وعلمُ الغيب عادَ لهُ شهُوداً فبانَ لهُ وضوحٌ وانجلاءُ
فلم يزدْد نفيسُ النفس منهُ يقين هُدىً ولو كُشِفَ الغِطاءُ[6]

(1) م.ن: مع الصفحات.
(2) مجمع الزوائد: 6: 114، 125/ المناقب، ج3/ 238، ويُنظر: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت 363هـ) تحقيق محمد الحسين الجلالي: ج1/ 113، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة: د.ت.
(3) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 211.
(4) المصادر نفسها اعلاه، يضاف اليها كتاب: فصول من العقيدة تأليف: الدكتور عبد الرسول الخفاري، تقديم: السيد محمد حسين فضل الله، دار المحبة البيضاء، نشر: دار ومكتبة الرسول الاكرم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1343 ه- 1992 م: 51 – 55.
(5) سورة آل عمران / آية (61).
(6) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 86.

فقد تناصّ مع قول أمير المؤمنين (ع) ((لو كُشِفَ لي الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً))[1] وقولُه مُستنهضاً الإمام الحُجّة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف): بحر الطويل

فَقُمْ يا ابن ثار الله خذ ثار من مضى ففي ثأركم نستسهُل العُسر والصَّعبا[2]

المقصود (بثار الله) في مطلع البيت، هو الإمام الحسين (ع)، وذلك إلماحاً إيحائياً أحالنا إستناداً إلى ما ورد عن الإمام الصادق (ع) في زيارة الإمام الحسين: " السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره "[3]

وقولُه: بحر الخفيف

وكما كانت الشهادةُ فيكم عادةً كانَ منكُمُ الصَّبرُ أحرى[4]

السيد الحلي، مُتفننٌ مبدعٌ في فن المناظرات والمُحاججات، نسبةً لتضلُعهِ في المعقولات حتى عُدَّ من أكابر أساتذة المعقول على الأطلاق في أوساط الحوزات العلميّة في العالم الإسلامي!، السيد في قصيدتهِ راثياً شاباً قُتِلَ غيلةً، وهو من السادات الأعيان فأراد الحلي مواساة والدهِ وإقناعهِ بضرورة الكفّ عن إزهاق نفسه حزناً وتفجُّعاً على فقدان ولدهِ الأكبر وهو في ريعان شبابهِ، فتَناصَ مع قول لعلي بن الحسين الملقب بـ (زين العابدين) و(بالسّجاد) لحثِّ الوالد المفجوع بأبنهِ على الصبر والتأسي بأهل البيت (ع) في مصائبهم والإقتداء بهم عند الشدائد والمحن، فأقتبس حديثاً للإمام السّجاد وأشارَ إليهِ في قوله (ع) ((إنَّ القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة))[5]. وبهذا فقد حقّق الحلي الفتحين، فتحُ الإقناع بضرورة التسلي والتصَّبر عند المصائب، والفتح الآخر النجاح في تعالُقهِ مع النصوص التراثية المقدّسة، وكيفّية توظيفها من خلال تكثيف آليات للتصّور الثقافي التراثي ((هذا التصوُّر التراثي للإبداع يُوحِ أهميّة الروابط – على المستوى البنائي – التي تحقق إنسجام النص وتماسكه مع قصد مُنشئهِ))[6].

وقوله راثياً زينب بنت علي بن أبي طالب (ع) أمير المؤمنين – عليهما السلام) ومشيداً بموقفها البطولي ضد طاغية عصرها (يزيد بن معاوية): بحر الطويل

أزينبُ، هذي نُدبةٌ عزُّ وقعُها على منطقي إذْ موقع الرُّزءِ هائِلُ
أَذاقَك أنواع المصائب موقفٌ بهِ السبط مثكولٌ وإنكِ ثاكلُ
فيا موقفاً ما كان أَسماه موقفاً بهِ لذوي الألباب لاحت دلائلُ
جهادُ لسان قد حكى في جلالهِ جهادُ سنانٍ والجهادُ مراحلُ
رميتِ بني حربٍ بحربِ صواعقٍ قنابلُ قولٍ دُونهنَّ القنابلُ[7]

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة: محمد عبده: 67.
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 99.
(3) المقصود بـ " ثار الله " هو الامام الحسين (ع) وذلك استناداً إلى ما ورد عن الامام الصادق (ع) في زيارة الامام الحسين (ع).
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 147.
(5) الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت: 314هـ) تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ ج5: 123.
(6) علم لغة النص، د. عزّة شبل محمد: 80.
(7) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 191.

والقنبلة الصوتية التي فجرّتها عقيلة الهاشميين هي قولها في مجلس يزيد: ((أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسراء، أنَّ بنا على الله هواناً، وبك على الله كرامة، إني لاستصغر قدرك، واستعظم تقريعك ...)) الخ الخطبة الشريفة[1].

وقولُه من مُوشَّحةٍ في مديح الإمام علي – عليهِ السلام –: بحر الخفيف

قولُك الصِّدقُ واضحٌ وجليٌّ نهجُك الحق والسراطُ السويُّ
الضعيفُ الذليلُ فيكَ قويٌّ ولديك القويُّ كان ضعيفاً

إذْ تنزّهْتَ عن فِعال المُحابي[2]

في هذا المقطع الشعري إشارةٌ اقتباسيّة إلى قول الإمام علي (ع): ((الذليلُ عندي عزيز حتى آخذ الحقّ لهُ، والقويُّ عندي ضعيف حتى آخذ الحق منهُ))[3].

وقولُه من نفس الموشحّة والتناص فيهِ دلالات حرفّية:

يامُبيدَ الجيوش والأبطال هلكَ اثنان فيك غالٍ وقالٍ
والذي فازَ سالِكُ الإعتدالِ نمطٌ أوسطٌ وخيرُ السجايا

هي أوساطها بغير أرتيابِ[4]

يُلمحَ السيد في هذا المقطع إلى حديثين من أحاديث الإمام علي (ع)، فيما يخص ما نحنُ بصددهِ، الأول قوله (ع): ((يهلك (هلك) فيَّ (إثنان) أو (رجلان)، مُحبٌّ غالٍ، ومُبغضٌ قالٍ))[5].

المبحث الثاني

التناص مع التراكم في الملفوظ الشعري القديم

وهو من سماتهِ الأُسلوبّية البارزة في شعرهِ، إذْ يُعدُّ التّناص مع الشعري القديم ((أحد الآليات التي توسلها الشاعر العربي المعاصر لتخصيب نصّهِ، ذلك أنّ الشعر العربي القديم أحد أدوات الإبداع الإنساني المندرجة في إطار التراث الأدبي))[6].

والسبب الذي جعل الشاعر العربي الحديث مرتبطاً بالشعر القديم ارتباطاً فنياً وثيقاً، ومشدوداً إليهِ مباشرة، ومنهم شاعرنا العربي الصميم السيد ((مسلم الحلي)) – محل الدراسة – لإحتواء ذلك الشعر على: ((تجارب فنية عديدة، خضعت بطبيعة زمانها، ومكانها، لعوامل التشكل، والتحول، والتطوّر))[7].

(1) مُثير الأحزان: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي (ت 645هـ) ، الطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1368هـ - 1950م: 80.
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 509.
(3) شرح نهج البلاغة – لابن أبي الحديد، ج284/2.
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 512.
(5) م.ن: ج4: 105/ ج5: 4، 282/18، ج20: 220.
(6) التناص التُراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله: 119.
(7) إستلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح.
خديجة حسين أحمد المغنج: 139، الجمهوريّة اليمنّية، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء – د. ط، 2004م.

وهذا ما نجدهُ واضحاً جليّاً لا يخلو من دلالات بنيوّية، وذلك من خلال استعراضنا الإحصائي الأسلوبي التحليلي لعّينات من شعرهِ على مستوى البيت الشعري، فقد وجد الباحث تناصهِ مع الملفوظ الشعري القديم على طول وعرض خريطة شعرهِ اي بنسبة مقدارها (70%) تقريباً من مجموع شعرهِ المُحقّق.

قال السيد في ردّه على رسالة إخوانية مع صديقهِ الحميم الأديب السيد (محمود الحبوبي) – رحمه الله –، وقد ضمنها أبياتاً متناصّة مع المتنبي (ماليءُ الدنيا وشاغل الناس)، وهي قد أخذت مساحة واسعة في التناص، نسبة لباقي قصائده الأخرى من مجموع شعرهِ المُحقّق. فقد بلغت تعالقاتهِ النصّية مع المتنبي في هذهِ القصيدة ((9) تسعة أبيات) من أصل القصيدة البالغة (ستة عشر بيتاً) أي بنسبة قدرها حوالي (56,25%) تقريباً، اي فوق النّصف بمرة واحدة، وإذا علمنا ان القصيدة المتناص معها هي في تهنئة سيف الدولة، بانتصاراتهِ وبعيد الأضحى المبارك، علمنا أنَّ هناكَ مُشتركاً فكريّاً، واجتماعيّاً بينهما ولعلَّ سرَّ تناصهِ المكثّف لتلك القصيدة والتي تعود الى العصر الثاني من الحُكم العبّاسي، وأخذهِ من ذلك التراث الشعري إلى ((ما يتواءم مع الحالة الشعورّية، ومع ما يعتملُ في نفسهِ، وواقعهِ من قضايا، وهموم يناقشها، ويُعالجها...))[1].

يقول السيد الحلي فيها: بحر الطويل

لقد جُدت بالفضل العميمُ مجدّدا وكان لكَ الإحسانُ فرعاً ومُحتدا
ولا عجبٌ هذا وذاك وكلُّ ذا (لكل أمرئٍ من دهرهِ ما تعوّدا*)[2]

ويسترسل السيد في قصيدتهِ الأخوانية، فيقول وقد جعل التناص يتصدر الصدر الشعري دون العجز منهُ:–

(أزِلْ حسَد الحُسّادِ عَّني بكبتهم) ودعهُم يعودوا طُعْمةَ الخسْفِ والرّدى[3]

حتى يصل الى نهايتها ويختمها بقولهِ (رضوان الله عليه):

(وما الدّهرُ إلاّ من رواة قصائدي*) تقلدها دُرّاً فكنتُ المُقُّلدا
يُرددُها ورداً بكلِّ لسانهِ (إذا قُلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشدا*)[4]

ويتناصَّ السيدُ مع أبي الأسود الدؤلي وهو من شعراء العصر الأسلامي والأموي، وهي في أهل البيت: بحر الطويل

وليدهم خير البرّية محتداً (وأكرمُ من نيطتْ عليهِ التمائم*)[5]

وفي نفس القصيدة، يتناص شطراً من الشعر مع الفقيه الشاعر ابن العرندس الحلي (ت ق 9هـ)[1] فيقول: بحر الطويل

(1) التّناص التُّراثي في الشّعر العربي المعاصر: 119.
* في هذه القصيدة يضمن السيد مسلم، بعضاً من أبيات قصيدة أبي الطيب المتنبي التي يمدح فيها سيف الدولة الحمداني (303 ه- 356 ه/ 915 م- 967 م)، ويهنئه بعيد الاضحى المبارك، يقول ابو الطيب في مطلع هذه القصيدة:
لكل أمريء من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدى
ينظر: شرح ديوان أبي الطيب، وضعه عبد الرحمن البرقوقي (1330 ه- 1393 ه/ 1912 م- 1973 م)، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1399 ه/ 1979 م، ج 2: 3.
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 123.
(3) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 124.
(4) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 125.
(5) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 202.

لآلِ الهُدى يُنمى العُلى والمكارم وهُم خيرُ مَنْ تُثني عليهِ الأكارمُ
(هُم النُّورُ نورُ الله جلَّ جلالهُ*) أيحجبهُ عن ظُلمة الشِّركِ قائِمُ؟[2]

ويتناصَّ السيد الحلي مع الشاعر الخليعي الموصلي الحلي (ت. ق 7 هـ)[3] مُشطراً لهُ بيتيه الشهيرين في الإمام الحسين – عليه السلام – والتشطيرُ: ((أنْ يُكمل أو ينظم شطراً واحداً يتقابل شطر النموذج المشطر))[4].

يقول السيد الحلي:

(إذا شئت النجاة فزُر حُسيناً*) نجاةُ الخلق في لُقيا حُسينِ
فزُرهُ واسكب العينينِ دمعاً (لكي تلقى الإله قرير عيْنِ*)
فإنَّ النّار ليسَ تمسُّ جَسماً قضى حَقَّ الإلهِ دينٌ بدينِ
تنافر مِنْ مساسِ النار جسمٌ (عليهِ غبار زوار الحسينِ*)[5]

– والباحثُ – يتحفّظُ على رأي الأستاذ الدكتور ((علي عباس علوان)) في قولهِ: ((ومن هُنا تتسّمُ محاولة الشاعر المتأخّر بالعقم لأنّهُ يقومُ بشطر النموذج الى نصفين، ثم إحلال نصف جديد من عندهِ، يلصقهُ بنصف الشاعر الآخر القديم، وتكون النتيجة ولا شك تشويهاً وتدميراً لا يُمتان الى عملية الخلق الفني بأي صفة))[6].

إنَّ هذا التنّوع في اشكال التناص ومصادرهِ يدلُّ على ثقافة واسعة للكاتب وللشاعر على حدٍّ سواء، أي الأديب على نحو الإطلاق، كما يدل أيضاً على طبيعة التواصل مع التراث الذي ((يُمثل هاجساً يظلُ الشاعر مسكوناً بهِ، بغية الإتيان بالجديد، وعدم إجترار الأفكار بعلاّتها وأشكالها، ومعانيها النمطيّة، ومن ثم فهو – أي الشاعر – لا يتناص مع التراث تناصاً عابراً، كما أنّهُ لا ينفصلُ عنهُ انفصالاً قاطعاً ...))[7].

ولا يَنس السيد مُسلم، أَنْ يتناصَّ مع شعر شعراء المغرب (الأندلس)، وهذا يكشف عن عُمق الثقافة التي يحملها، وعن اطلاعهِ الواسع على عصور الأدب العربي بأدوارهِ وأطوارهِ، وتتبُّعه الحريص لكل ما يصدر من ديوان شعري أو موسوعة في الأدب والشعر، والتراجم .... وغيرها يصُدرُ عن مطابع البلدان العربيَة.

ومن المُلفت للنظر والإعجاب في ذات الوقت، أن يتناصَّ – شاعرنا الحلي – مع شاعرٍ لم يُجمع شعره إلاّ في وقت قريبٍ جداً لا يتعدى الخمس سنوات، أنّهُ الشاعر الأندلسي (ابن اللّبانة)، الذي جمع شعرهُ وحققه الدكتور محمد مجيد السعيد.

والحقيقة أنَّ تناص السيد مع الشاعر ابن اللّبانة، لم يكن تناصّاً على مستوى الشطر الشعري فحسب، وإنّما كان على مستوى العروض والقافية وحركة الروي أيضاً وتناصّاً على مستوى الغرض الفني ثالثاً، فكلاهُما قد نظما القصيدة المتناص عليها في غرض الرثاء، فالشاعرُ الأندلسي (ابن اللّبانة) رثى (آل عباد) ودولتهم العامرة بعد سقوطها على أيدي المرابطين، أمّا

(1) يُنظر: ديوان
* هذا صدر بيت للشاعر الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلي (ت ق 9 ه) والبيت بتمامه:
هم النور نور الله جل جلاله هم التين والزيتون والشفع والتور
ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والادب، الشيخ عبد الحسين احمد الاميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1378 ه/ 1967 م، ج 7: 18.
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 202.
(3) ينظر: ديوان الخليفي أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخليفي الموصلي الحلي المتوفى سنة (1370ه)، تحقيق وتذييل: الدكتور سعد الحداد: 251.
(4) تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان: 65.
(5) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 203.
(6) تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان: 66.
(7) التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام واصل: 119.

الشاعر الحلي، فقد نظمَ قصيدَتهُ في رثاء أُستاذه الشيخ ((محمد جواد البلاغي)) – رحمه الله –، ورثى معهُ الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، وكأنَّ بقاءها متوقفٌ على حياة الشيخ البلاغي، فهي تحيى بحياته، وتموت بمماتهِ. يقول فيها: بحر الكامل

قِفْ في ربُوع المسلمين ونادِ لمنَ النعيُّ يضجُّ فيه النّادي؟
ولمِنْ تضمَّن ذلك النعشُ الذي ظمَّ الرجالَ بحيث غصَّ الوادي
ما كنتُ أحسبُ، والحوادثُ جّمةٌ أيدي الرّجالِ، تخفُّ بالأطوادِ
لو أنصفتْهُ المسلمون لأشرجتْ منها الأضالِعُ، موضع الأعوادِ
ولشققّتْ منها لطاهر جسمهِ شغف القلوب، وفلِذةِ الأكبادِ
يا رائد المعروف دُونكَ فارتحِلْ (خفَّ القطينُ وجَّف زرعُ الوادي*)[1]

– خفَّ القطينُ وجفَّ زرعُ الوادي – هو الشطر المفضل الذي اقتبسهُ السيِّد دون غيره، وضّمنَهُ قصيدته العصماء تلك، وهو بذلك التَّناص المتعدّد العلامات والدلالات والبُنى ...

الشطر الشعري + البحري الشعري (الكامل) + القافية (الداليّة) + حركة الروي (الكسرة) + الغرض الفني (الرِّثاء) يكشف عن ((خصب النص، وإثراءهِ، والتواصلية بين القديم والحديث، بممازجة الألفاظ والتراكيب والصُّور، حتّى أشعرَ القارئ بأنَّ هذا شعرٌ ينتمي – للشعر الأندلسي القديم – ولكن برؤية جديدة، حيث يشتغلُ الشاعرُ اشتغالات متشابكةُ يؤسس فيها نصّهُ الجديد على منصّة من أقوال سابقة))[2].

ونقرأُ في ديوانه الشعري المجموع والمُحقَّق معارضته البائية لبائّية المتنبّي (ت 354 هـ) الشهيرة في رثاء أخت سيف الدولة الحمداني والتي مطلعُها:

يا أُختَ خيرَ أخ يا بنت خير أبٍ كنايةٌ بهما عن أشرف النّسبِ[3]

وكُلّنا يعلم أنّ الرثاء ليسَ إلاّ شُعبةٌ من المدح والثناء للمرثي لهُ، أما السيد الحلي فقد أنشأها لغرض آخر، وهو للمديح، وللتهنئة بمناسبة ولادة الامام الحسين – عليه السلام – يقول في مطلعها وقد قَدّم لها بمقدمة غزلية لتنحى منحى الشعر الصّوفي:

يا صاحِبيَّ أديرا لي ابنةَ العنب عن بارد الثّغر لا كَأسٌ من الذّهبِ
وأسقياني سُلافاً ظلَّ شاربها فخالها شغفاً ضرباً من الضربِ
وظنّها شمسَ حُسنٍ زفّها قمرٌ واللّؤلؤ الرطب ما يطفو من الحببِ
صهباءُ للصّب للضدين قد جُمعتْ وكيف يُجمعُ بين الماء واللّهبِ
يا مطربي قُم وذكرّني الحبيبَ بِها ما أطيب العيش بين الذكر والطَربِ

* وتمام البيت:

أيا مُؤمِّل واديهم ليسكُنه جفَّ القطينُ وجَّف زُرع الوادي

يُنظر: ديوان ابن اللبانة (مجموع شعره)، جمع وتحقيق الاستاذ الدكتور محمد مجيد السعيد، ط2، دار الراية للنشر والتوزيع، 2008م، عمان الأردن: 99.

(1) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 131.
(2) التّناص – دراسة تطبيقيّة في شعر شعراء النقائض، د. نبيل علي حسين: 97.
(3) ينظر : ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج 1: 57.

ريمٌ إذا ما بدى أبدى لعاشقهِ تدلّلُ الفرس غنجاً في حيا العربِ
فكم تمتّعتُ يوم الوصلِ في فمهِ برشفةٍ من لماه البارِدِ العذبِ[1]

ثم يدخُل الى غرض القصيدة بحُسن التخلُّص فيقول:

يا صاحبي دَعْ حديث اللّهو عنكَ ففي جدٍّ ينالُ المنى لا اللّهو واللّعبِ
واقرأ حديث التّهاني والسُّرور فقد وقفتُ في مولد الزاكي على أَربي
ميلادهُ طبّقُ الدّنيا شذاهُ فما نشر الخزامى ونفحُ المندل الرطّبِ
يا صاحبي فالمُهنّى فيهِ خير أبٍ وخير جدٍّ نبيُّ العُجمِ والعربِ[2]

أَمّا الشاعر المتنبي فيستهل في رثاء أخت سيف الدولة فيقول:

أُجلُّ قدرك أنْ تُسمى مؤبنةً ومَنْ يصفك فقد سمّاكِ للعَربِ
لا يملك الطّربُ المحزون منطقَهُ ودمعهُ وهُما في قَبضة الطّربِ
غدرْتَ يا موتُ لمَ أفنيْتَ من عددٍ بمنْ أصبْتَ وكم أسكتَّ من لَجَبِ
وكم صحبتَ أخاها في مُنازلةٍ وكم سألْتَ فلم يبخلْ ولم تَخِبِ[3]

نتائج البحث

نلحظُ من ذلك كُلّه مما سبق دراسته من تناص مع القرآن الكريم الحديث النبوي الشريف وأحاديث أهل بيتهِ الطاهرين المعصومين اتخاذ العقيدة ومُفرداتها (كالامامة، والعصمة، والغلو، وأفضلية الأئمة على الصّحابة، والتوسُّل، والشفاعة، والاستغاثة بأهل البيت، وفكرة المهدي المُنتظر، والرجعة، ومؤهلات الأئمة الربّانية وخصّائصهم الخارقة لنواميس الطبيعة ...) وغيرها من مبادئ وأدبيات الفكر الشيِّعي ويندرج تحت ظلها ادبيات الوحدة الاسلامية التي كان السيد الحلي احد اعمدتها كتقوية لكلام الشاعر وما يُؤمن بهِ ((فالكاتب والشاعر – على حدٍّ سواء كثيراً ما يعجز عن الوفاء بحقِّ الفكرة أو الشعور، فيلجأ الى التناص لسدِّ هذهِ الثغرة، كما أنّهُ يستخدمهُ ليربط النص بنوعٍ من أشكال الإتصال البلاغية الفعّالة وذلك عندما تؤدي دوراً غير عادي، ويستخدمّه الشاعر من اجل إحداث غايات فكرّية، وشعرّية، وثقافية، وأدبيّة، أو لأهداف فنيّة وغايات جمالية قصْدَ مناجاة القارئ، ولفت انتباهه، وإثارة ذهنهِ وتشويقهِ، وقد يكون من اجل الإشارة الى بعض العناصر الثقافية او التقاليد، أو العقائد الدينية، او الماضي المشترك، أو من أجل الاستثارات العاطفية، أو لاستدعاء الذكريات من خلال الماضي لأجل العبرة والمتعة أو لاستدرار الدموع وتسبيح العاطفة، مما يحيل هذهِ التلميحات الإشاريّة تزيد من هيبة المتحدث – صاحب الخطاب – الذي استطاع توظيف إمكاناتها، أو من أجل تشكيل السياق التاريخي والاجتماعي للنص))[4].

أما بالنسبة لتعالقه النصي مع الشعر العربي فهو المهم عنده، إنْ لم نقلْ هو الأبرز، لأَنّهُ ينبعث من مقتربات فنه الإنساني، ذلك أنّ الشاعر مؤمن اشد الأيمان بالرسالة الإنسانية كالفن على وجه العموم، ومنه الشعر على وجه الخصوص! اذا عرفنا ما مرت به حياة الشاعر مسلم الحلي، من عواصف عصفت بكل اشكال حياته العلمية والسياسية والاجتماعية والخاصة

(1) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 102- 104.
(2) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 105.
(3) شعر السيد مسلم الحلي المحقق: 203.
(4) التّناص – دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض – الدكتور نبيل علي حسين، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1 – الأردن – عمان 1431هـ - 2010م: 45 – 46.

(الأسرية، والأخوانية)، فكان بحق معالجاً وناضجاً حكيماً لتلك الحياة المتقلّبة وتطلعاته نحو الإصلاح، وذلك من خلال رسالة الشعر، وتواشجها مع هموم الفكر الإنساني الذي تضرب جذوره في عمق الإنسانية، فكان الشعر عند السيد مسلم عبارة عن فضاءات يتنفس من خلال مساماته ما تنطوي عليه آماله والآمه كأصوات تهجسُ وتندسُ بين طيات الشعر، وهو بهذا المفهوم يحقق شعره الغاية القصوى من تناول هذا الوجود الإنساني على انه يمثل الاصالة الحقيقة للإنسان فكان شعره انسانياً بامتياز، لأنه حقق في شعره حرية الذات واستقلالها، وحصّنَ شعره من كل اشكال الضغط والاستلاب ...، لذا يرى –الباحث– أنّ الشاعر السيد مسلم الحلي "باحث عن الحقيقة في عالمه الباطن أو في خارج هذا العالم"[1].

المصادر والمراجع

1. أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط1، 1986.
2. إستلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح.
3. أُسد الغابة، ج 4.
4. أسطورة الأدب الرفيع الدكتور علي الوردي، منشورات سعيد بن جبر، قم المقدسة، الطبعة الاولى، سنة 2000م، الطبعة الثانية، 2005م.
5. آفاق التناصية – المفهوم والمنظور، ترجمة وتقديم: د. محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.
6. الالتزام الانساني في شعر عبد الله باشراحيل، نشر: قناديل للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.
7. أنساب الاشراف للبلاذري، ج 2.
8. الإيضاح في علوم البلاغة، قاضي القضاة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف (بالخطيب القزويني) (ت 739هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربيّة بالجامع الأزهر، أعادت طبعه بالأوفسيت، مكتبة المثنى ببغداد، ج 2.
9. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت 1111هـ) تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ومحمد باقر البهبودي، مُؤسّسة الوفاء – بيروت، ط2، 1983م.
10. بحار الأنوار: ج38.
11. تحرير التحبير (في صناعة الشّعر والنثر وبيان إعجاز القرآن)، لإبن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ)، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – لجنة إحياء التراث الاسلامي، الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة، 1964م.
12. تحليل الخطاب الشعري – استراتيجيات التناص – الدكتور محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1992.
13. تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان.
14. تفسير الثعلبي، ج 4.
15. التّناص – دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض – الدكتور نبيل علي حسين، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2010م.
16. التناص – دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض (جرير والفرزدق والأخطل)، الدكتور نبيل علي حسنين، دار كنوز المعرفة العلميّة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.

(1) الشعر ومرايا الحداثة الخادعة، فوزي كريم، دار المدى، دمشق، 2000 م: 5.

17. التناص التراثي في الشّعر العربي المعاصر: أحمد العوضي أنموذجاً – عصام حفظ الله حسين واصل، ط1، دار غيداء، عمان، 2011م.
18. التّناص التُّراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله.
19. التناص اللغوي – نشأته، أصوله، أنواعه، د. نعمان عبد السميع متولي، الناشر: دار العلم والإيمان– مصر – دسوق – ميدان المحطة، الطبعة الاولى: 2014م.
20. التناص وإشاريات العمل الأدبي، صبري حافظ، مجلة ألف القاهرّية، العدد الرابع، 1984.
21. الثعلبي في تفسيرهِ، ج 4.
22. جماليات التلقي في السرد القرآني، د. بادكار لطيف الشهرزودي، نشر: دار الزمان ، دمشق، الطبعة الأولى، 2010م.
23. خديجة حسين أحمد المغنج، الجمهوريّة اليمنّية، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء – د. ط، 2004م.
24. ديوان ابن اللبانة (مجموع شعره)، جمع وتحقيق الاستاذ الدكتور محمد مجيد السعيد، ط2، دار الراية، عمان، 2008م.
25. ديوان الخليفي أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخليفي الموصلي الحلي المتوفى سنة (ت. ق 7 هـ)، تحقيق وتذييل: الدكتور سعد الحداد، من اصدارات مجلس محافظة بابل/ هيئة الاحياء والتحديث الحضاري رقم (5)، مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، الطبعة الاولى، سنة 1431هـ/ 2010م.
26. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مُحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (694هـ)، مكتبة القدسي، مصر، 1356هـ.
27. الرواية والتأريخ – دراسة في العلاقات النصّية – رواية العلامة [لأبن سالم حميش] نموذجاً. سليمة عذاوري، منشورات كلية الآداب/جامعة الجزائر – الطبعة الاولى – 2006م.
28. روضة الخلاص في غير الناس في مناقب امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (ع)، فاضل العلياوي، دار الاعراف للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.
29. الزمخشري، اساس البلاغة: 66، (مادة نصص)، القاموس المحيط، ج2.
30. السرقات الأدبّية، د. بدوي طبانة، دراسة الثقافة، طبعة مزيدة ومنقحة، بيروت، 1986.
31. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت 363هـ) تحقيق محمد الحسين الجلالي، ج1، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة: د.ت.
32. شرح ديوان أبي الطيب، وضعه عبد الرحمن البرقوقي (1330 هـ- 1393 هـ/ 1912 م- 1973 م)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979 م، ج 2.
33. شرح نهج البلاغة – لابن أبي الحديد، ج2.
34. شعر السيد مسلم الحلي المحقق.
35. الشعر ومرايا الحداثة الخادعة، فوزي كريم، دار المدى، دمشق، 2000 م.
36. طروس الأدب على الأدب، جيرار جنيت، ت: محمد خير البقاعي، الصفحات من [1 – 16]، ط1، دار [Seuil]، باريس، 1982م.
37. ظاهرة التعالق النصّي في الشعر السعودي الحديث، د. علوي الهاشمي، كتاب الرياض، مُؤسسة اليمامة الصحفية، 1418هـ.
38. علم لغة النّص – النظرية والتطبيق – الدكتورة: عزّة شبل محمد، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م.
39. العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، ج2، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، 1934.

40. الغدير في الكتاب والسنة والادب، الشيخ عبد الحسين احمد الاميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، ج 7، 1967م.
41. الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت: 314هـ) تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط1، ج5، 1411هـ.
42. فرائد السمطين.
43. فصول من القصيدة تأليف: الدكتور عبد الرسول العقاري، تقديم: السيد محمد حسين فضل الله، دار المحبة البيضاء، نشر: دار ومكتبة الرسول الاكرم، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 م.
44. الفيروز آبادي. لسان العرب لابن منظور، مادة نصصَ: وابن سيده المخصص، المعجم الوسيط، ج2.
45. قاموس السرديات، جيرالد برنس، ت: السيد إمام، ط1، ميريت للنشر والمعلومات – القاهرة، 2003.
46. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الدكتور محمد عبد المطلب، مكتبة – لبنان ناشرون – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الطبعة الاولى، 1995م.
47. الكافي للكليني (ت 329هـ): تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، جزء 1.
48. كشف الغمَة.
49. مُثير الأحزان: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي (ت 645هـ)، الطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1950م.
50. مجمع الزوائد.
51. مدخل الى التناص، ناتالي بيغي غروس، ترجمة: عبد الحميد بورايو، (جامعة الجزائر).
52. مُسند أحمد.
53. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج3: 84.
54. مناقب امير المؤمنين، للكوفي.
55. النعيم المقيم لفترة النبأ العظيم تأليف: شيخ الشافعيين شرف الدين ابي محمد عمر الموصلي (ت 656 هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، تحقيق: العلامة علي عاشور، بيروت، 2003م.
56. المناقب، ج3.
57. مؤلفات السيد ((مسلم الحلي)): 1- القرآن والعقيدة (جزءان)، 2- الميزان الصحيح (مجلد واحد). 3- الأصول الإعتقادية في الإسلام (جزء واحد).
58. النّص والتلقي، د. علي جعفر العلاّق – دراسات نقدّية، دار الشروق، الاردن، ط1، 1997م.